طيور لا تحلق!

فضّل أن يهدأ ويستكين داخل أسواره. يلملم أحلامه المبعثرة، خارج حدود الزمن ويعيد ترتيب كل المتناقضات. ينكمش، يتكور على ذاته داخل خيمة اللجوء. يحاول بشتى الطرق أن يجمع شتات أفكاره وكبرياءه المراق أمام المارة من كل حدب وصوب، زوجته وأطفاله توزع عليهم أطباق الشفقة. غريب عن الوطن أو الوطن عنه غريب. يجاهد لجمع كل ذلك تحت نقطة من ضوء عقله، فلا يقبض بيده على شيء.

تردّد نداء عبر مكبّر الصوت.. في حركة شبه آلية ناولته زوجته أدوات الطعام الفارغة. تشاركه عمق الجرح وتعرف أيضا أن الدنيا بأسرها لا تقوى على احتماله لكنهما يلوذان بالكتمان، وتولي الأبناء من جانبها بالرعاية. بادرته قائلة: «يجب أن نتأقلم على الوضع من أجل هؤلاء.»

فخرج كباقي أفراد المخيم لينتظم في صفّ طويل للحصول على حاجاتهم الضرورية

من الطعام. ولما حان دوره امتدت الأيدي إليه لتملأ فراغ أطباقه، نظر مليا.. ثم اجترّ خطاه ليمرّر على شريط عقله الحكاية من أوّلها، إنها نفس الأيدى التي ما فتئت تبشّر بالكرامة للإنسان

وحقوقه، هى نفسسها التي قصفت مدينته بأحدث الأسلحة. أجْبر وأهله على الهجرة ليقبع تحت جدران التشرد في البلاد، دفين المآسي العابرة للحدود..

تتعدد الخيانات تحت رايات الإنسانية الكاذبة فتعقد الصفقات، تشتعل الحروب، تسرق الثروات، تقسم الدول، يعبر البحر طلبا للنجاة فينقذونه وأطفاله من الغرق ويوزعون عليهم قطع الشكولاته، ثمّ يكون نصيبه خيمة في الغربة..!

أخيرا وصل إلى زوجته بما منوا عليه من طعام، ناولها إيّاه. حين مسّت يده يدها انبعث من قلبيهما حنين جارف للمنزل الذى ضمهما معا في الأوقات السعيدة المسروقة من زمن العولمة. نظرت الى وجهه، وجدته رغم كل الإنكسارات يشرق بأمل لا يستطيع العالم كله أن يطفئه. ردد مبتسما و مبددا الصمت:

. أطعميهم وتعالي بهم كي نحكي لهم عن معنى أن ينزل الكبار للعب بالميدان .. عن وطننا والبيت.